الإشارات الأنتروبولوجية في رحلة آنْ بلنْتْ

عمر قبايلي [*1]
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان / مخبر أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها
manuslabo61@gmail.com

الإرسال: 2022/12/26 القبول:2023/11/21 النشر: 2023/12/10.

الملخص: يتناول هذه المقال مدوّنه من مدوّنات أدب الرحلة الأجنبي ، الساعي إلى إظهار العنصر العجائبي للبلدان التي شهدت الترحال والتجوال ، وينماز بإبراز عنصر المغامرة المحفوف بالمخاطر والمخاوف والهلع. ولعلّ هذا ما أدّى إلى هيمنة الرجل على خوض هذه التجارب ، وتسجيل المشاهدات إلى حد التراكم ، لكنّ ذلك لم يمنع من ظهور نسوة خضن تلك المغامرات وألححن على مواصلة المسير إلى بقاع غريبة ، والتعبير عن الأحاسيس المفعمة بلوحات فنية عجيبة.

وكان من ضمن تلك النسوة المغامرات الرحّالة البريطانية اللّيدي آنْ بلنْتْ LADY ANNE BLUNT التي قطعت المسافات في البراري والصحاري ، ورسمت مشاهد أنتروبولوجية رائعة عن نلك الأمكنة ، ووصفت بعمق الأجواء النفسية التي أحاطت بها ، وقدمت صورا متنوعة عن الطبيعة الصحراوية القاسية والرائعة ، وعبّرت بكل شغف عن اندماجها في المجتمع الصحراوي ، وعاداته وتقاليده وأخلاقياته ومعاملاته ، فانبثق من ذلك بروز ثنائية متناغمة متجاذبة تمثلت في علاقة الترابط بين الأنا والآخر ، وهذا ما سنحاول تجليته في هذه الصفحات.

الكلمات المفاتيح:. آن بلنت ؛ رحلة ؛ إشارات ؛ أنثروبولوجيا ؛ نسوي

The Anthropological Signs in Lady Anne Blunt Journey

[*] **المؤلف المرسل**.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

Abstract: This paper is an attempt to describe an account of foreign travel literature that is characterized by the display of the element of wonders in countries knowing intense traveling and nomadic moves, and showing features of danger, fear and panic adventures. Women writers make their appearance in this style of literature claiming that these manhood scenes of exploring very remote strange places are also experienced by female poet in expressing their inner sights.

For instance, the British Poet Lady Anne Blunt, as a feminist travel adventurer, showed amazing scenes through which she acknowledged profound insightful impulses, and portrayed a series of pictures describing the harsh and magnificent nature of the Sahara Desert. She, therefore, enthusiastically expressed her integration in this new life embracing its tradition, culture, beliefs and ethics. Consequently, a relationship between the self and the other appears into being

Key words: Anne Blunt; Journey; Signs; Anthropology; Feminist

1- مقدّمة:

الإنسان منذ فجر التاريخ ميّال إلى إشباع رغبات فضوله الكامنة فيه ، والمخبوءة في أعماق أفئدته ؛ فهو مخلوق أنعم الله عليه بقدرات عقلية وحسّية فائقة ، ومكّنه من التفاعل مع الإنسان والمظاهر الطبيعية والكونية بأساليب عديدة ، لا تخرج عن التّحدّي والصراع والتوافق ، ليسخّرها ويحقّق الهيمنة عليها ، أو يتكيّف معها ، ناسجا تفسيرات أو مرويات أو حكايات وأساطير عنها.

ولمّا أحست الأمم والشعوب بالرغبة الشديدة إلى التفاعل والتواصل سارعت إلى ابتكار أساليب عديدة ؛ بعضها ينمّ على الرغبة الصادقة في التواصل والتعايش والتعاون ، وبعضها الآخر يضمر الكره والعدوانية وحب السيطرة على الآخر ، واستيلاب شخصيته بشتّى الطرائق والحيل ، ومختلف أساليب الهيمنة.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

وتدلّ مراحل التاريخ وأزمنته البعيدة على أنّ هذه المظاهر ما زالت مستمرّة إلى الآن ، وكان الارتحال عاملا أساسا في بلورة ذلك التواصل بشقّية الإيجابي والسلبي ، وتجلّى ذلك في صورة التعايش والتوافق من جهة ، وصورة الحرب والاستعمار والتمرد من جهة أخرى.

ولنقف ههنا عند علاقة الغرب بالشرق ، إذ كان انجذاب كل منهما للأخر ليكتمل التفاعل ، ويتّسع الإدراك ، وتتنوّع المعرفة ، وتتعمّق التجربة الحياتية ، وينكشف المجهول الغائب. ويحاط بما هو غامض. ولن يتأتّى ذلك إلاّ بعد تراكمات تلاحقت عبر التاريخ ؛ وما التواصل اللغوي إلاّ مظهر من مظاهر ذلك الترابط المتراكم.

ولا ننسى أنّ تطوّر المجتمعات يفرز مستويات عديدة في التفكير ، وتسخير وسائل الحياة والتنمية البشرية ، ذلك أنّ مستوى التّخلّف يجعل صاحبه ذا آفاق ضيّقة لا تتعدّى جغرافيته ، وفي مقابل ذلك يمكِّن مستوى التقدّم صاحبَه من المعرفة العالية في شتّى مجالات الحياة ، فيعمل على ابتكار وسائل تحقيق الرغبات وإشباع الفضول ، فيندفع نحو المزيد من الاكتشافات ، وليحقّق التفوّق يسعى إلى الخروج عن حدوده الجغرافية ليكشف ذلك المجهول ويهيمن عليه ، ويجتهد في إيجاد أشكال التواصل سياسيا ودينيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، فكانت الرحلات مظهرا من مظاهر ذلك التواصل.

فالرّحلة تحتلّ قيمة كبيرة في التواصل الإنساني وتبادل العلاقات بين الأمم عبر التاريخ ، وتساهم في اكتشاف العالمين المادّي والمعنوي ، فهي بلا ريب سجلا إنسانيا هاما ، يتضمّن أسرارا وكنوزا مخبوءة في التاريخ ، ويشمل مساحات جغرافية شاسعة منقطعة النظير ، وتغوص في أعماق السلالات البشرية ، وتكسب معارف وتجارب لا مثيل لها في التواصل الإنساني.

ويحسن التنبيه إلى أنّ نصوص الرحلة تندرج في مجال السرديات الفريدة النسج ، إذ تتداخل فيها الأساليب الخطابية ، وتتعدّد أفكار مضامين أبنيتها اللغوية ، ممّا جعلها موضع نزاع وتجاذب بين العلوم ذات اللغة اليقينية ، والآداب ذات الأساليب الإنشائية المحقّقة للجمال الفني.

2. مفهوم الرحلة وأنواعها:

2-1- المفهوم:.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

تنصّ القواميس والمعجمات اللغوية على أنّ الرحلة تدلّ على السير من مكان إلى مكان والانتقال إليه ، فجاء في لسان العرب[1]: رحل الرجل عن المكان إذا سار إليه ، وهو راحل. وجاء في المحيط << رحل عن البلد يرحل رحلا ورحيلا وترحالا: انتقل. والراحل اسم فاعل مفرد رحّل >>[2] ، وأمّا مفهومها الاصطلاحي فليس هنالك تعريف شامل ودقيق ، إلاّ أنّه لا يخرج عن مدلول الانتقال إلى مكان آخر محفوف بالعوائق والمصاعب والمخاطر ، ومدعاة إلى سرد التجارب ، وتسجيل الأحداث ، ووصف المشاهد ، بأسلوب يتخلّله الخيال لتجميل الصورة السردية ، ولتكوين وسيلة المثاقفة والاحتكاك.

وذكر بعضهم أنّ الرحلة هي مدوّنة وسرد أحوال الانتقال لإبراز << الأوضاع الحقيقية للانتقال ، حيث العياء ، والتعب ، والمخاطر ، والوحدة ، والانعزال ، والمعيشة ، ووصف الفضاءات المتداخلة ؛ حيث مواجهة المخاطر ، والاهتمام بالأسلحة ، والطرق المجهولة غير المعبّدة >>[3] ولعل البحث عن مدلول الرحلة في الموسوعات العربية والأجنبية ليجد مرادفات لها ، مثل: السفر (voyage)، والارتحال (pérégrination) والبعثة (l'Expédition) والمغامرة (L'Aventure) والهجرة (L'Exode) وعلى الرغم من ذلك فكلمة الرحلة تبقى النواة والتسمية المتداولة في المدوّنات والكتابات والمصنفات.

ويبدو أنّ الرحلة نص غير منغلق على نوع سردي معيّن ، بل هو مفتوح على أنماط خطابية عديدة ، وتحت مسمّيات متنوعة ممّا أدّى بالباحثين إلى التنازع حوله ؛ فالمؤرّخ كان دائم الإلحاح على أن الرحلة وثيقة تاريخية ، والأنثروبولوجي والإثنولوجي يعتقدان أنها مصدر ثريّ للأبحاث ، بينما يقف الجغرافيون ويؤكّدون انتماءها جذريا إلى علم الجغرافيا ، ويأتي علماء التراجم فينسبونها إلى السير والمذكّرات ، وأمام هذا كلّه يأتي علماء الأدب ويطلقون تسمية (أدب الرحلة).

ونفهم من هذا التنازع أنّ الرحلة نشاط سردي متنوّع الأساليب ومتعدّد الأنساق ومتداخل الأبنية ، وبفضل ذلك يكتسب التجانس والانفتاح على فروع المعرفة المذكورة آنفا ، وهذا ما جعل كتابات الرحالة ميدانا مميّزا يتّسم بالحيوية والامتداد والاتّساع والانقسام إلى فروع وأنواع وفق مقصد الرحالة وهدفه من الرحلة.

ويمكن ههنا أن نوزّع مدونات الرحلة على محورين كبيرين ، أوّلهما: الرحلة العينية ، والآخر: الرحلة الخيالية ، فالثانية هذه تتّسم بكون الكاتب لم يزر المكان المقصود ، وإنّما ينسج من خياله أحداثا ومشاهد بأسلوب إبداعي ؛ فمثلا نجد الجزء الأوّل من رسالة الغفران

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

لأبي العلاء المعري عبارة عن رحلة خيالية يقوم بها ابن القارح إلى العالم الآخر ليلتقي فيه بالأدباء والعلماء والأعلام. ويجد فيه الكاتب حرية التصرف والاسترسال عبر الأزمنة والأمكنة ، ويسبح في فضاءات خيالية غير محدّدة بإطار معيّن ، لأنّ صاحبها << يعيش التجربة بطريقة خيالية غير جسدية ، يبثّ أحلامه وأمانيه ورغباته ومعاناته وإخفاقاته >>[4] بينما النوع الأول يقوم على الانتقال (الجسدي والذهني بين الأمكنة أي إنّه يغوص جسدا وذهنا في أعماق المجهول ، فينفتح على الآخر بطريقة عينية ، ويشارك في مواجهة العيش الصعب ، ويعاني قسوة الطبيعة ، ويتحمّل متاعب السفر ، ويتفاعل مع الآخر حسّا وعقلا ، ويمكن أن نستخلص من هذا النوع عدة أنماط ، أهمها:

2-2- الرحلة الاستكشافية:

تولي هذه الرحلة العناية بمعرفة المجهول ، واكتشاف الطرقات والبقع الجغرافية ، غير المعروفة ، واكتشاف الشعوب ، وذلك لاستكمال المعلومات وإثرائها. ونشير إلى هذا النوع من الرحلة وغيره من الأنواع يرتبط بالتقدم الحضاري للأمة ، كما هو الشأن عند المسلمين حينما كانوا في أوج ازدهارهم قاموا برحلات كثيرة لاكتشاف العالم ، وأصبح الرحّالة وقتئذ حسب رأي بلاشير كوسموقرافيين كونيا وجغرافيا ، ومكتشف المعادن ، وباحثا نباتيا ، وعالم حيوان وعالم أخلاق. لكن لمّا دبّ الضعف فيهم تراجعت مقدرتهم على قيادة العالم ، فانزووا وتقوقعوا أمام حضارة أوربية جديدة قدمت من وراء البحار بفضل التقدّم والثورة الصناعية ، حتى غذا القرن التاسع عشر عصر التحوّل في التاريخ الحضاري ، وتجلّى ذلك في أشكال عديدة ، منها السفر والمغامرة والرحلة ، إذ تطلّع الأوربيون إلى معرفة العالم في شتّى الأراضي والمناطق ، ولا سيما الشرق الذي شغف به كلّ رحّالة مغامر يريد اكتشاف هذا العالم بما فيه الصحراء العربية ، فانبرى يطوي البحر والبر والفيافي ليكشف ما هو كامن في تلك الأراضي.فالرحّالة الأوربيون في هذه الفترة هم << جغرافيون وعلماء النبات وعلماء الرياضيات وإثنوغرافيون ، قاموا برحلات بعيدة لاستكمال المعلومات عن العالم ، فكانت رحلاتهم بمثابة ظاهرة علمية استكشافية >>[5]

ونشير إلى أنّ الجمعيات عمّت الأرجاء ، وسخّرت علماءها وخبراءها للقيام برحلات إلى العالم ولاسيما الشرق ، وأصدرت نشريات مثل (نشرية الجمعية الجغرافية الفرنسية التي تناوب على رئاستها علماء من أمثال فرديناند دوليسيبس ferdinand de lesseps وبوكي دي لاقري bouquet dela grye .

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

3-2 الرحلة الدينية:

نالت الرحلة الدينية القسط الأوفر من كتابات الرحّالة واهتماماتهم ، ذلك أنّ الأمكنة المقدّسة جذبت قلوب المؤمنين ، واستولت على أفئدتهم ، فهناك عدد لا يحصى من مدوّنات الرحالة العرب والمسلمين مغربا ومشرقا إلى الحجاز ، سجّل فيها أصحابها طروف رحلاتهم إلى الحجاز ووصف المشاهد والمعاناة التي أحاطت بهم برا وبحرا. منذ القديم إلى الآن ، فما من حاج عالم أو أديب أو كاتب إلاّ ويدوّن مشاهداته ، ويصف شعائر الحج ، ويحسن أن نذكر بعض الرحلات مثل "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار " و " رحلة ابن رشيد " و " الرحلة العياشية لعبد الله بن محمد العياشي " و " الرحلة الناصرية لأبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي " و " الرحلة التيجانية لأبي محمد عبد الله التيجاني " و " الرجلة الوتيلانية للورتيلاني " و " الرحلة الحجازية للشنقيطي " و " رحلة القطب محمد بن يوسف أطّفيّش " و " رحلة المصعبي للشيخ إبراهيم اليسجني المصعبي ". وأمّا الرحلة الدينية الأجنبية إلى بيت المقدس فقد نالت نصيبا معتبرا منذ القرون الوسطى ، ولاسيما حين احتدم الصراع بين المسلمين والصليبيين ، فالعاطفة الدينية ساقت الأوربيين إلى زيارة الأراضي المقدّسة في فلسطين ، وتسجيل مشاهداتهم ، ووصف كلّ ما تقع عليه أعينهم وأحاسيسهم ، ولنذكر على سبيل المثال " رحلة إلى القدس لنيقولا لهين Nicolas lehuen " و " رحلة جاك لوسيج jacque le saige " و" رحلة شاطوبريان chateaubrilland " و " رحلة الشابة برتز السويسرية Britz " و " رحلة الحج إلى القدس وسياء لماري جوزيف دي جيرانب Marie-joseph de geramb " و " رحلة من حلب إلى القدس لهنري موندريل .Henri maundrell ".

وحقيق أن نشير إلى أنّ هنالك عناوين لا تحصى دوّنها العرب والأجانب رغبة منهم في وصف المشاهد الطبيعية والجغرافية والإنسانية ، وذكر الأعراف والعادات والتقاليد ، ويكفي أن نشير إلى بعضها مثل " رحلة سلام الترجمان " التي جاءت تلبية لرغبة الخليفة الواثق في إرسال بعثة إلى بلاد الصين[6] ، وكذلك رحلة " عجائب الهند برّه وبحره وجزائره لبرزك بن شهريار الناخداه " و "تحفة الأصحاب ونخبة الأعجاب لأبي حامد الأندلسي " و " الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. لعبد اللطيف البغدادي " و " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني " و " الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي السائح ". وأمّا الرحلة الأجنبية إلى الشرق فقد انتشرت في القرن التاسع عشر

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

انتشارا واسعا طلبا للشهرة وذيوع الصيت ، حتى غذا الارتحال إلى الشرق دُرجة يبتغيها الإنسان الأوربي مثل " رحلة إلى الشرق لامارتين LAMARTINE " و " ورحلة إلى النيل ومصر والنوبة لدوكام DUCAMP " و " صيف في الصحراء FROMENTIN " و " حضارة الصحراء R.MONTAGNE"

3- الرحلة النسوية:

يظهر أنّ أدب الرحلة الأوربية ولاسيما الإنجليزية انفرد بميزة قليلا ما نجدها في أدب الرحلة لدى الأمم الأخرى وهي (الرحلة النسوية) إذ هنالك عدد غير قليل من النساء ممن قمن برحلات إلى خارج أوربا ، وخضن مغامرات ، وواجهن صعوبات بتحدّ وثبات ، وسجّلن مشاهداتهن لمظاهر الصحراء وطبيعتها القاسية ، ونبل أهلها ، وشدّة تمسكهم بعقيدتهم وأعرافهم ، فكنّ يسجلن كل ملاحظاتهن وما تقع عليه أعينهن ، ويقرع أسماعهن.

ويحسن ههنا أن نذكر بعض رحلتهن[7] ، مثل: " رحلة إلى المناطق المدارية لليدي آني ألنوت براسي lady Annie Allnut brassey " و " من الحرم إلى إفريقيا لفلورانس باكر florence BAKER " و " سيدة عند الصحراويات للسيدة بوميرول madame Jean pommerol "

وهناك رحلات أخرى قامت بها نساء مغامرات[8] مثل باكيت PAQUETTE وآن دارفي Anne D'ARFETودونا إيزابيلا باربطوس دي ماندانا Dona isabelle berretos de mendona والسيدة قودان دي أودوني Mme godin des odonais والليدي إستير سطانهوب lady Esther stanhope والسيدة هومير دي هال والليدي آن بلنت lady anne BLUNT صاحبة << رحلة إلى نجد) موضوعنا الذي نحاول رصد مشاهده ، وإبراز امرأة إنجليزية مغامرة إلى الصحراء ومحمولها الأنتروبولوجي والاجتماعي والثقافي والنفسي والعقيدي

3-1- شخصية آن بلنت 1917/1837

آن إيزابيلا نويل بلنت البارونة الخامسة عشرة لوارنتورث ، ولدت في 22 ديسمبر 1837 م ، هي من نسل ويليام كينج William KING أوّل كونت ، وهي ابنة الشاعر الكبير اللورد بيرون .

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

الليدي آن متعدّدة اللغات ، إذ تتكلّم الفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والعربية ، ولها مواهب ومهارات متعدّدة ، وهي عازفة الكمان ، ورسامة ، ومربية خيول ،تزوّجت بالشاعر السياسي ويلفريد بلنت Wilfrid scaiven BLUNT سنة 1869 م ، أجهضت مرات عديدة ، وكان لها بنتا واحدة جوديت بلنت ليتون البارونة السادسة عشرة.

أقامت بمصر أشهرا في مزرعتها بالشيخ عبيد القريبة من القاهرة أين عاشت ابنتها ، وفي سنة 1915 تركت انجلترا نهائيا لتقيم بمصر ، وظلّت هناك إلى أن وافتها المنية في 15 ديسمبر 1917 سنة 1917م.

لقد شغفت وزوجها بالرحلة ، والتنقل في المناطق الصحراوية ، وكان من ثمرة ذلك طبع رحلتين أولاهما " قبائل البدو والفرات " والأخرى " رحلة إلى نجد .مهد العشائر العربية . " التي قام ويلفريد بإعادة صياغتها ونشرها ، وتبلغ 430 صفحة مرفقة بالصور والرسومات والخرائط ، ولقد ترجمت إلى عدّة لغات ، فكانت الترجمة الفرنسية على يد ليوبولد ديروم 1889/1883. ونشرت سنة 1882م ، وأما الترجمة العربية فكانت المحاولة الأولى بقلم محمد . أنعم غالب سنة 1967 وتلتها طبعة ثانية سنة 1978 ،لكنها صدرت بفقرات ناقصة. وفي قام أحمد إيبش بترجمتها ، وتولّت دار الثقافة للنشر بسوريا بنشرها عام 2005.

3-2- مسار رحلة آن بلنْتْ ودوافعها:

استغرقت الرحلة شهورا طويلة امتدّ خطّها من لندن إلى حلب فالشام وبُصرى الشام ، وانحدرت نحو وادي السرحان ، وعبر الحماد إلى صحراء النفود حيث الجوف وسكاكة فحائل ، وبعدئذ تم الصعود نحو مشهد علي فبغداد ثم ديلم. ومروا بأشهر الوديان مثل وادي السرحان ووادي خناصر ووادي روزة.

لا ينكر أحد أنّ لكل رحلة دوافع ظاهرة وأخرى باطنة ، ولا تصدر عن تلقائية بل عن استجابة ذاتية وموضوعية ، بسبب عوامل مركّبة ومتداخلة ، ولاسيما إذا علمنا أن الشرق والجزيرة العربية وسائر البلاد العربية كانت تحت أنظار أوربا ، فالإنجليز مثلا كانوا يبحثون عن منفذ لهم إلى مستعمراتها في الهند ، ولا شكّ أنّ آن بلنت قد أبرزت شغفها بالخيول العربية الأصيلة فعُدّ دافعا أساسا لهذه الرحلة ، بينما لم تظهر بوضوح ما عدا حبّه للشرق والصحراء والمغامرة.غير أن هنالك أسبابا ثانوية أعلنت عنها في مدونتها ، مثل التخلّص من التخبط في بحر من الشواغل الأوربية ، والابتعاد عن الهموم السياسية ، والمآسي الاجتماعية ، والأهواء المتقلّبة التي تأسر الحياة في أوربا ، لتجد في الشرق جو مناسبا للإنعام بالراحة

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

والسعادة والنسيان، ذلك أنّ سحر الشرق حسب تقديرها يكمن في العزلة والبعد عن التعقيدات الفكرية ومخاوف المستقبل. وأشجان الماضي، والتمتّع بعيش الحاضر، أي إنّ الشرقي ابن يومه[9].

وكشأن أيّ رحالة لا بدّ من إدراك أهمية لوازم الرحلة والاستعداد لخوض غمارها، ذلك أنّ المال الكثير يسهّل عملية اقتناء الدواب والأمتعة والزاد، وتأجير من يقوم على الخدمة مثل الطباخ والجمال والمرافق والدليل والحارس.

ويجب على الرحالة أن يكون على معرفة بأخبار المنطقة المبثوثة في كتب الأخباريين والجغرافيين والرحالة السابقين، ويجب عليه أيضا توطيد علاقته بالقناصل والاستعانة برسائلهم وتوصياتهم، وأخذ النصائح منهم في التعامل مع الآخرين وخاصة الأمراء والفرسان وشيوخ القبائل.

ويتبدّى من أحداث الرحلة أن مرافقي آن بلنت تأرجحوا بين الثبات والتغيّر؛ إذ نجد الطبّاخ حنا من مسيحيي حلب الذي اصطحب معه قريبه، قد ظلاّ قائميْن على خدمتها طوال الرحلة، بينما تطلّب الانتقال من مكان إلى مكان تغيير المرشد، وإذا كان المقصد مكانا خطرا، فإنّ بعض المرشدين يرفضون الذهاب إلى تلك المناطق الوعرة أو البعيدة خوفا أو طمعا في المال الكثير، فمثلا الدليل محمد دوخي اعتذر عن اصطحابهم إلى وادي السرحان لخطورته، واكتفى بتقديم النصائح والإرشادات، وكتابة خطاب توصية إلى معارفه، وفي بعض الأحايين ينسحب الدليل ويأتي ببديل عنه لعدم كفاية الأجر، أو يشترط شروطا كما فعل عواد العبد الذي هو في نظرها << كأغلب الزنوج يقيس نفسه بأكثر مما يستحقّ من خادم ويصرّ على أن يعامل كأكثر من مجرد خادم، وعلى أن يُعطى حمارا للركوب، ولذا صرفناه هو الآخر، لقد سخط كثيرا عندما طلبنا إليه الرحيل وحطّم ربابة كنّا أعطيناه إياها ليلعب عليها، لأنّه يجيد العزف والغناء >>[10].

وأمّا المسير إلى المناطق المخيفة والصعبة؛ فإنّ آن كانت تصرّ على اختيار الدليل الخبير بالممرات مهما كان الثمن، ففي اجتياز صحراء النفود تطلّب الموقف منها إعطاء قطع ذهبية لمرشد محترف لاجتياز صحراء النفود[11]

4- الإشارات الأنتروبولوجي

4-1- الصحراء والمشهد الأنتروبونيمي

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

إنّ مصطلح الأنتروبونيمي مركب من تسميتين تدلان على الجانب الأنتروبونيمي الذي يهتم بالأمكنة وأسمائها وأصولها وعلاقاتها باللغة الأم واللغات الفرعية الطارئة عليها. ، وعلى الجانب الآخر الذي يهتم بالمسميات ودلالاتها ذات البعد التاريخي أو الأثري أو غيرهما ، فالليدي آن بلنت كانت مولعة بالصحراء ومظاهرها وخفاياها ومخاطرها ، ذلك أن الاعتقاد السائد لدى معظم الناس ولاسيما الأجانب أن الصحراء ما هي إلاّ بقعة نائية خالية ومعزولة ، ورمال حارقة ، وطبيعة قاسية ، والحياة فيها صعبة ، وأهلها قساة غلاظ الطبع غير متمدّنين وغير متحضّرين ، لكن ما تفتأ هذه الصورة تزول حين يضع الرحالة قدمه عليها ، حيث يكتشف أشياء لم تقع على باله ، فيرى ما يدهشه ويعي خطأ تصور السابقين عن هذه الحيز المكاني الرائع.

ويظهر أن رحلة آن بلنت صوّرت مشاهد صحراوية مدهشة ، وصحّحت الأوصاف الخاطئة على قدّمها بعض الرحالة السابقين ، كما أنّها وجدت طبيعة الصحراء على الرغم من قسوتها جميلة ساحرة بوحاتها ورمالها وحيواناتها ، وأفلاجها ووديانها وطيورها ، وتفرّد بعض مناطقها بالجاذبية وبروعة معمار قصورها ومضافاتها. فلقد وجدت " صحراء النفود" الموجودة في أواسط الجزيرة العربية ساحرة ، تبعث الإحساس بالراحة ، حتى إنّ السعادة غمرتها في أثناء ترحالها ، وعمدت إلى رسم بعض مشاهدها وتسجيل ملاحظاتها مصحّحة أخطاء الرحالة شارلز بلغريف " 1894- 1969 " في يومياته معلنة أن ما ذكره لم يكن مطابقا لما تراه عيناها ، فصرحت بقولها << أمضينا النهار كلّه في صحراء النفود التي فاقت توقّعاتنا بإثارتها ، إضافة إلى سحرها ؛ وهي لا تشبه وصف المستر بالغريف الذي سبق أن قرأته ، والذي يُغرق الأنسان في كوابيس رعب حقيقة. صحيح أنّه قد مرّ خلالها في فصل الصيف ونحن الآن في فصل الشتاء ، لكنّ المظاهر المادية فيها لا تتعيّر بتغيّر الفصول ، ولا أستطيع فهم كيف تجاوز عن صفاتها الرئيسية... ومن الخطإ الكبير أن تعتبرها قاحلة ، بل هي على العكس غنيّة بالشجيرات والكلأ أكثر من أيّ جزء من البوادي التي مررنا بها منذ مغادرتنا لدمشق >> [12]. وقالت في موضع آخر << إنّه لحلم حقا أن أجلس هنا ، أكتب مذكرات رحلتي على صخرة في جبل شَمَّر ، فعندما أعود بذاكرتي سنين إلى الوراء ، وأتذكّر ما كنت قرأته من وصف رومانسي كتبه المستر بالغريف ، والذي لم يصدّقه أحد آنذاك >> [13] ،

لقد أكسبتها زيارة الصحراء تجربة معرفية جديدة بأمور كانت تجهلها ، مثل بقر الوحش الذي لا يغادر صحراء النفود ، ولا يشرب الماء على الإطلاق ، وتفاجأت بوجود ثعبان الكوبرى

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

في تلك الصحراء ، ذلك أنها سألت راضي عن الأنواع الخبيثة السامة من الأفاعي فوصف لها دقة الثعبان ذا القرون فعلّقت قائلة << لقد فوجئت حول وجود هذه الأخيرة هنا ، ولكن يستحيل ألا يكون وصفه ينطبق عليها بالذات ، فهو يدكر ثعبانا واقفا على ذيله ، وينفخ رقبته كالجناحين ،>>[14] . وزيادة على ذلك فلقد دفعها فضولها وحبها للخيول إلى معرفة أن هذه الخيول ترعى في صحراء النفود ، وهي عند بدو الشمال صورة للحياة اليومية ، ورمز للقوة والسيادة والشرف ، بينما هي عند غيرهم ممن يعتمدون على الجمال ترف وزينة.

ويبدو أن آن بلنت كان شغوفة بالخيول ومولعة بمعرفة أسمائها ، ممّا جعلها تكتسب خبرة كبيرة معرفة واسعة بالخيول ، وتمييز أصنافها ، وتحديد أوصافها ، وربط أسمائها بشكلها ومراعيها ، إذ كانت في مواطن عديدة من صفحات الرحلة تسرد ببراعة كلاما مفيدا عن هذه الخيول ؛ ومن ذلك قولها: << وهاك الآن أوصافا لبعض الحيوانات المتميّزة ، كتبتها بعد واحدة من زيارتنا إلى الإسطبل ، ستقدم هذه الأوصاف فكرة أفضل من أية ملاحظات عامة ، ها هي مقتطفات من دفتر ملاحظاتي: كحيلة الكروش شقراء ذات قوائم بيضاء مطلقة اليمين بارتفاع 14يدا قوية جدا ، رأسها أكثر تسطحا من أغلب الخيول هنا >>[15]

وظلت تسترسل في كلامها إلى حد الإطالة ، وحتى لا نثقل المقال بتلك الأوصاف ولعل العنوان يجهلنا نكتفي بذكر أسماء الخيول المدوّنة في الرحلة ؛ مثل << حمدانية سمري كستنائية ، وصقلاوية شعيفي رمادية ، وكُحيلة العجوز كستنائية داكنة ، وكُحيلة العجوز كستنائية بنية داكنة...>>[16]

4-2- النقوش والعمران والأساطير الخرافية:

إنّ مهارة آن بلنت جعلت حسّها الأنتروبولوجي يبحث عن التفاصيل الجزئية التي تكشف عمق الصحراء وأبعادها الحضارية وتاريخ الشعوب الصحراوية ، فلقد ركّزت اهتمامها على مشاهد النقوش والعمران ، لأنها تكشف تفكير الإنسان وبعضا من إنجازه المادي. فلقد أدهشها سهل حماد الخالي من الرمال ، وازدادت حيرتها حين عثرت على نقوس ورسومات أثرية موجودة في تل غريب ، والتي كانت مبعثا على التساؤل عن وجودها في هذه المنطقة الصحراوية[17] ، فكان السرور يغمرها كلما شاهدت النقوش التي شملت صورا جميلة وكبيرة عن الطيور والحيوانات كالغزال والجمل والظبي والنعامة ، وبجانبها شجرة نخيل مرسومة بشكل تقليدي ، ولمحت كتابة ذات قيمة فنية ، فأحست أن تلك الآثار لم تكن من عمل أناس متخلفين. ولمحت أيضا صورة أساسية لجملين يتصالب عنقاهما ، وبجانبها كتابة منقوشة

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

بانتظام تام. واستنتجت أن تلك النقوش قديمة بحجة أن لون الصخر رملي محمر وقد سوّده الحتّ ، ورجحت أنّه عندما تمّ نقشها ، كانت الحروف والرسوم حمراء اللون على خلفية قاتمة ، ولكن غدا أغلبها مطموسا ،

ولما بلغت منطقة جبّة انتابها شعور داخلي عجيب بأنّ هذه البلدة واحدة من أغرب الأماكن في العالم ، وبحسها الأنثروبولوجي وصفت مشاهدها وصفا بليغا تضمّن الروعة الجمالية ، والقياس والمسحة الجيولوجية والاستقراء التاريخي للكتابات والنقوش ، وبعد طول تأمل في فضائها أبدت إعجابها قائلة: << ...إنها بالإجمال فريدة الشكل تماما ، فلذا يتعذر جدا اعتبارها من الناحية الجيولوجية واحدة من الأفلاج. ومما لا شك فيه أنها كانت في الماضي السحيق بحيرة ، على اعتبار وجود آثار حتّ مائي في الصخور التي تنشأ فوق مهادها بأعلى البلدة... أما الصخور التي تتألف منها الجروف في الأعلى فهي هائلة الأجرام من الحجر الرملي الليلكي المقلم المعرق باللون الأصفر ، كما أن بأعلاها قلانس سودا ، ولقد عثر ولفريد على كتابات بحروف سينائية في متنها>>[18] وكانت شديدة الاهتمام بالعمران ، تذكر كل تفاصيل العمران كيفما كانت طبيعة بنائه ، فلما دخلت قرية كاف لقيت ترحابا من شيخها عبد الله الخميس ، وأعد لها ومن معها غرفا للنزول فيها ، ولم تضيّع آن بلنت الفرصة ، وأسرعت إلى التمعن في أسلوب العمارة المتّبع في هذه القرية ، وعلى الرغم من بساطته راحت تصف الجدار الطينية الخالية من النوافذ أو الفتحات الأخرى ، ما عدا القليل من الكوى المربعة الموجودة في أعلى السقف المصنوع من جذوع الأثل مع روافد من سعف النخيل. وأشارت إلى الحجرة الرئيسية في الدار تسمى القهوة ، وهي مكان مهيأ لإعداد القهوة وتقديمها للضيوف ، وعلى الرغم من عدم وجود مدخنة فإن الحطب الذي يشعل يحترق بلهب براق جميل يعطي الحرارة مع القليل من الدخان.

وينبغي ههنا أن نشير إلى أنّ الأنتروبولوجيين أبدوا اهتماما كبيرا بالعمران ، لكونه مظهرا من مظاهر الحضارة المادية بكل أبعادها التاريخية والاجتماعية والدينية والنفسية ، ويقتضي الكشف عنها الإحاطة بها ، وتتبّع خططها ، وتأويل أشكالها ، وإبراز جمالها ورعتها. ولعلّ آن بلنْت أدركت هذه الأهمية ، فركزت على العمارة الدينية ، وتناولتها تناولا فنيا بأسلوب أدبي رائع ، لكن ذلك لم يمنعها من تضمين الأوصاف والمشاهد الدلالة الأنتروبولوجية ، ومن أمثلة ذلك وصف مشهد علي الذي يطلق عليها عند أكثر الناس النجف ، فهذه المدينة تمثل نموذجا شرقيا ، إذ إنّها محاطة بالأضرحة دون سواها ، وهي ذات شكل مربع ، يشمل بوابة واحدة ،

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

وأسوارها مبنية بالآجر ، وبها أبراج كبيرة وضخمة ، والبيوت فيها مرتّبة ترتيبا متناسقا ، وتتوسط المدينة محلات تجارية ، ولها جامع فخم مزخرف بالموزاييك ، ومرصّع بالذهب ، واسترعى انتباهها ضريح الإمام علي الذي يحتلّ مرتبة التقديس لدى الشيعة الذين يعتقدون أنّ من يموت ويدفن بمقربة من قبة الضريح ينال النجاة والمغفرة.

ويجب التنبيه على أنّ رحلة آن بلنْت توفّر مادة ثرية لعلماء الأنثروبولوجيا لتحليل الظواهر المرتبطة بالعقيدة ، مثل قدوم الرعايا الهنود تحت حماية المندوب البريطاني إلى النجف لمجاورة ضريح الحسين ، وأقاموا في أحياء خاصة مع المحافظة على لغتهم الهندية ، والامتناع عن مصاهرة العرب أو مخالطتهم.

ويظهر أن الغوص في ثنايا صفحات هذه الرحلة يحيلنا على إشارات أنتروبولوجية أخرى ذات قيمة كبيرة وفائدة مفيدة ، مثل إيرادها أساطير خرافية متوارثة ومتداولة آنذاك ، مثل مروية " بركة تلّتين الخراب " حيث يوجد ضريح الرفاعي ، إذ قيل لها إنّ بابه مفتوح لا يغلق أبدا ، وتوجد أفعى ضخمة تنام في ممرّها ممّا جعل العبور منه لشخص واحد ، شريطة أن يكون درويشا ، فيقوم بالصلاة بالقرب من البئر ، ويرزق هناك بطعام من الله لمدة ثلاثة أيام فقط ، كما يوجد في داخل الضريح أسد مربوط بسلسلة ، وتسكن في محيط البركة أفاعي تنفث سمومها في المياه لمنع الناس شربه ، وفي المساء يقبل ظبي خرافي ؛ فيضرب الماء بقرونه لتصير عذبا ، ممّا يسمح لحيوانات الصحراء وطيورها القدوم للارتواء[19] فهذه الأسطورة تتضمّن دلالات أنتروبولوجية عديدة بعضها يتعلّق برمزية الارتباط بين الضريح والأفعى والأسد والظبي وسائر الحيوانات والطيور الصحراوية ، وكذلك علاقة البركة بالدراويش والإطعام.

لقد أثار انتباهها المزج بين الخرافة والمرويات التاريخية في حكاية النهرود وبرج بابل الشهير ، حيث تتجسّد فكرة الوثنية ومحاربة النمرود إله الشمس وعلاقة ذلك بمعتقدات الإيزيديين ، ولتتضح الصورة جيدا يحسن إيراد خبر الأسطورة كما سردتها قائلة: << بينما كنا نمرّ بجوار آبار النمرود وبرج بابل الشهير توقّفنا عند خيام مسعود ، كان شيخهم غائبا وناب عنه ابنه فوّاز ، فاستقبلنا وبعد العشاء روى لنا حكاية النمرود الذي كان يظن أنّ الشمس هي الإله ، وقرّر محاربته ، فبنى هذا البرج ، ولمّا رأى استحالة الوصول إليه صنع منصّة في وسطها سارية ، وربط في كل زاوية من المنصّة نسرا ، وعلّق على السارية خروفا ، وبالتالي عندما أرادت النسور بلوغ الخروف طارت المنصّة بالنمرود الذي كان يقف عليها ، ولمّا ظنّ أنّه اقترب

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

من الشمس رماها بسهم، فأراد الإله أن يعاقبه فهدم برجه. ولا يزال الإيزيديون يعبدون النمرود والشيطان هناك إلى وقتنا هذا.>> [20].

3-4- الأعراف والنسيج الاجتماعي النسوي

يتضمّن مدلول الأنا في سردية الرحلة الذات الراحلة والشخصية الساردة، والمؤلّف الذي يمتلك خصائص معيّنة تميزّه وتطبع رحلته بسمات عديدة ومتنوّعة تحدّد قيمتها وأهميّتها، فالمدوّن قد يكون شخصا عاديا أو متخصصا في مجال معيّن تحكمه اللغة اليقينية، وقد يكون أديبا أو مبدعا فيغلب عليه الخيال، وقد يكون عالما أثريا أو جغرافيا أو مؤرخا فيطغى عليه أسلوب التخصص، وقد تتعدّد فيه المواهب فيكون كاتبا ورساما وموسيقيا ومصوّرا فوتوغرافيا وشاعر فتأتي رحلته مفعمة بتنوّع المهارات كما هو الشأن لدى آن بلنت وزوجها، وهذا يكسب نص رحلتهما تشكيلا فنيا رائعا يتّصف بالجمال والرونق.

وحقيق الإشارة إلى أن نصوص رحلات النساء تتميّز بالثراء والتنوّع وتعدّد المهارات، وأنّهن يستطعن الوصول إلى ما لا يجوز للرجال الوصول إليه، نظرا لأعراف رجال الصحراء وقيمهم الدينية، فهنّ تتلقين بالنساء والحريم، وتتحدّثن إليهن، وتطلعن على بعض أسرارهن وأحاسيسهن، ويدركن النسيج الاجتماعي والثقافي النسوي. وليس هذا فحسب فإنّ ميزة << النساء المرتحلات والمغامرات يردن تحقيق وجودهنّ ليتمكّنّ من إيجاد التوازن بين العزلة والاستقلالية، لأنّ تجربة المغامرة تسمح بكتابة تاريخ الارتحال، وتؤكّد الإحساس بالانتماء والانفتاح على الآخر، والالتقاء به.>> [21].

ومهما كان الأمر فإنّ ذاتية الأنا تتحقّق في اكتساب معرفة الغريب والعجائبي الذي يتطلّع إلى اكتشافه؛ لأنّ الانتقال الجسدي والذهني يمكّنان من الغوص في أعماق المجهول، لتحصل المثاقفة، ويحدث التفاعل مع الآخر والتواصل معه تواصلا ديناميا، لأنّ فهم الغير يعمّق فهم ذات الأنا وثقافته الأصلية. فالرحلة تكسب القائم بها تجارب جديدة، ومعرفة بعادات وتقاليد الأمم الأخرى، << فكما أشار ألان كوبري إلى أنّ الرحلة تعني تغيير جوّ الحياة وتوسيع الآفاق، واستنشاق روائح المغامرات >> [22].

تعتقد الليدي آن بلنت أنّ عادات الزواج عند عرب الجزيرة لم تتغيّر منذ عهد إبراهيم، ذلك أنّ رابطة الدم تعدّ ركنا أساسا في عقد القران ، كما أنّ المساعدة على اختيار الزوجة تعدّ عملا مرغوبا فيه للمحافظة على شرف النسب، الذي ينحصر في الانتماء من جهة الأب وليس الأم، وتتأكد هذه الفكرة في الحادثة التي سردتها الرحالة آن؛ ومؤدّاها أنّ امرأة من عشيرة

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

السويلمات تزوّجها واحد من عشيرة المصاربة ، ومات عنها وهي حبلى منه ، ولما صارت أرملة تزوجت قبل أن تضع حملها تزوجت رجلا من أبناء عشيرتها ، وقبل موعد ولادتها نشب خلاف بين حسب نسب المولود ، ولما اشتدّ الخلاف تمّ اللجوء إلى التحكيم ، ولمّا سئلت المرأة عند الأب الحقيقي أجابت وأكّدت أنّها الحمل كان من الرجل الأول المتوفّى ، وهنا حكم القاضي بانتساب الابن بعد ولادته إلى عشيرة المصاربة.

لا شكّ أنّ آن بلنت الأنثوية مكّنتها من ولوج العالم النسوي المحظور على الرجال ، فبينما كان مرافقها يتجاذب أطراف الحديث مع البدوي الذي استضافهم ، توجّهت آن إلى دور النساء للحديث مع سيدات الدار ؛ وعلى الرغم من كونها رحالة اسكتشافية فإنها ملزمة باتباع سلوكات الأنتروبولوجي الذي يقتضي واجبه البحثي الذي يقتضي أن يتمتّع الباحث ، بدرجة عالية من الحساسية تجاه قيم الناس الذين يتعامل معهم ، ومعرفة القوانين التي تحكم سلوكا م وأساليب التعامل معهم ، وهذا ما يتيح له بناء علاقة وديّة معهم ، وتسهّل بالتالي الحصول على ما يريده من معلومات وأخيرا أكرر أن طريقة الملاحظة بالمشاركة .

فكانت شديدة الانتباه في مشاهداتها ودقيقة الملاحظة ، ومكّنها فضولها من التركيز على بعض الظواهر التي يهتمّ بها الأنتروبولوجيون المعاصرون ، ومن ذلك أنتروبولوجية الطعام والجسد ؛ فهذه الظاهرة أولَتْها الرحالة عناية كبيرة ، وعملت على تسخير مادة غنية بالدلالات ، كالضيافة وتقديم القهوة والشاي والحلوى والمأكولات ، وكذكر اسم المرأة وشكلها الجسدي وأطفالها ومنزلتها بين الزوجات إن كان هناك تعدّد الزوجات.

لقد وصفت وردة زوجة حسين بأنّها أمّ الصبي ولها طفلة في غاية الجمال والأخلاق ، فقد نالت نصيبا من التعليم وتمكنت من القراءة والكتابة وحفظ بعض سور القرآن وفضلا عن ذلك كان لها أبناء زوجها السابق.

أما المظهر الجسدي الذي استرعى انتباهها فقد لمحته يتوافر على معايير الجمال لدى العرب ؛ إذ إنّها بدينة ، وذات بشرة بيضاء ، ولها عينان واسعتان ومزينتان بالكحل ، وتجلّى كرم الضيافة في تقديم القهوة والشاي وقطع الحلوى السكرية ذات الحجم الكبير وذلك في غير وقتي الغذاء والعشاء ، وبخلاف العادات الأوروبية في تقديم الورود كهدية فإنّ السيدة البدوية قدّمت لها باقة من الريش أخذتها من جلد النعامة المعلّق على الجدار ، كان جُلب لها من الجنوب.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

وفي فضاء آخر من رحلتها زارت نساء الدّروز ، اللاتي نلن تقديرا وإعجابا بجمالهن ، فعبّرت عن ذلك بابتهاج قائلة: «أمّا نساء الدروز فهنّ يخرجن بغير خمار ، وهنّ على قدر جمّ من التهذيب والتحضر بشكل باد للعيان ، ولهن بشرات نقية نضرة ، وخدود وردية ، ويبادرن دائما إلى إلقاء التحية »[24] السلام عليكم " على المسافرين ، وهنّ يكتحلن بعناية بخطوط عريضة)

5- الأعراف الصحراوية

5-1- الصحراء والأخلاق القبلية:

إنّ رابطة الدم قيمة متجذرة عند رجل الصحراء ، ذلك أنّ النظام القبلي يلزم الفرد بالذوبان في القبيلة ، حفاظا على تماسكها واستمرارها ، وبسط سطوتها ، إذ الانتماء يجعل المنتمي يتمتّع بالكينونة والمسؤولية ، ويظهر ذلك بوضوح في أنّ محمدا وهو من آل العروق رافق الرحالة بلنت من تدمر وتحمّل مشاق المخاطر إلى سكاكة للقاء أحد إخوة جدّه الذي رحل عن أخوته بسبب ثأر دموي ، ولقد أثار هذا التفكير القبلي لديها فضولا وسؤالا جوهريا يتعلّق بالطريقة التي تمكّن الشخص في الصحراء من تمييز القبائل ، فكان الردّ ذا دلالة أنتروبولوجية متمثلا في اللباس والملامح أو البنية الفيزيولوجية أو الأسلحة المستعملة ؛ فالشمريون مثلا قاماتهم طويلة ويلبسون عباءات ذات لون بنيّ ، والسبعة أفراد قصار يستخدمون وماحا طويلة ، وأمّا الروالة فرماحهم قصيرة وخيولهم أصغر.

ويجرّ الانتماء القبلي وراءه أذيال الأخذ بالثأر أو تنشأ الحروب بين القبائل ، فيصبح الالتزام بالدفاع عن القبيلة واجبا ، أضف إلى ذلك الغزو والإغارات تلزم الفرد المشاركة فيها دفاعا أو هجوما ، كلّ ذلك أدركته آن بلنت واستوعبته ، وكذلك زوجها ولفريد ، وحدث أن وقع نقاش حادّ بين محمد المرافق لهما ، فشرح لهما أن هذه الظاهرة مبنية على الثأر المطلوب بأيّ وسيلة كانت وبأي شكل كان ، بينما ويلفريد أظهر له طريقة الإنجليز في المبارزة وإعطاء الفرصة للدفاع عن النفس ، لكن الليدي آن استنكرت الأخذ بالثأر ؛ لأنها تعرّض غير المذنب للقتل ، وعلى الرغم من ذلك فقد انتهى إلى فهمها أنّ الأخذ بالثأر شريعة العرب ، وسردت حادثة[25] رُويت لها ومؤدّاها أن بدر الأخ الثاني لطلال الذي قتله محمد بن رشيد ، كان صغيرا يوم وقع القتل ، ونجا من القتل لأنّه كان بعيدا عن حائل. ولمّا شبّ وبلغ أعدّ العدّة لأخذ الثأر من قاتل أخوية وعائلته ، فاجتمع ببعض عبيد أبيه ورسم الخطّة للاقتصاص من محمد حين يقوم بزيارة حمود ، لكنّ أمره انكشف ، وتمّ القبض عليه ، وفاوضه محمد في ترك الأخذ بالثأر

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

فرفض بدر الاقتراح متوعّدا إيّاه بالقتل، فأمر محمد بضرب عنقه، ثم أطلق سراح العبد المرافق له مزجلا له العطايا.

لقد ترسّخت العادات الحسنة لدى العرب منذ القديم، فتجلّت سريرتهم الصافية في حسن معاملتهم للغير، فكان الاستقبال الحسن والترحيب بالآخر، وكرم الضيافة والسخاء الكبير.وكلّ ذلك حث آن بلنت على الإشادة بهذه الصفات مرات عديدة، وسجلت بحماس أنّ عرب الصحراء يتمتّعون بطيبة القلب والتلقائية الحسنة، وشعارهم تقديم القهوة والزاد والماء وإدارة ؛ ففي قرية جيزة استقبلهم شيخها بالكرم والترحاب، وقدّم لهم قهوة وطبق الأرز والماء الذي هو أغلى شيء عندهم، ووفّر لأفراسهم الشعير.

كما أنّ العرب اعتادوا تقديم الهدايا للضيوف، وفي بعض الأحيان كانوا ينتظرون من آن بلنت وزوجها مبادلة الهدايا، لكنّ هذين الأخيرين كانا حبيس أنانيتهما ؛ فلم يقدّما شيئًا لهم، فأحسوا بخيبة أهل تجاههما، وليس هذا فحسب فإن آن أحست بأن انتظار الهدايا منهما لا يتوافق مع ما يبدونه من مشاعر بمناسبة وبلا مناسبة، وهذا يعني أنهما لم يستوعبا المغزى الحضاري في هذا التبادل. وعلى الرغم من ذلك فإنّها أقرّت بحسن الاستقبال الذي يفتقر إليه المجتمع الإنجليزي الغارق في نفعيته وأنانيته، إذ صرّحت أن الشخص لا يجد من يستقبله في إنجلترا ولا من يرحّب به أو يوليه عناية[26]

2-5- الأنا والآخر وأعراف الزيارة

لا شكّ أن الصحراء أرض محفوفة بالمخاطر الطبيعية وغير الطبيعية، وأن ساكنها في تحدٍّ مستمرّ لها، ومضطر إلى التعامل بقسوة، والصراع من أجل البقاء، والحذر من المستجدات والطوارئ التي لا تقع في البال.

وإنّ معرفة الطرق ومواقع الآبار والممرات ضرورية للارتحال، تجنّبا للضياع والهلاك، فلقد روى محمد رفيق الرحلة حكايات عن تلك المخاطر المؤدّية إلى الهلاك، فأطراف الصحراء غير آمنة بشكل دائم، والتوغّل فيها يوصل إلى قلة مصادفة الناس أو الانقطاع عنهم، ولذا وجب على آن وويلفريد والمرافقين الاستعداد التام للرحلة الشاقة التي تدوم ثلاثة أشهر لقطع ألف ميل في قلب الصحراء، حين يستحيل الحصول على المؤن الطازجة، أو يشحّ الماء، ووجب أيضا الحذر من التعرّض للغزو من الآخرين، استدعى مرافقة الأفراد المنتمين إلى قبائل على وئام بمن هم في تلك المناطق التي ليس لها شيخ رسمي يمكن

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

التعامل معه ، كبعض الشرارات المتجولين في وادي السرحان ، ولكنهم يخشون بني صخر ومحمد دوخي وابن شعلان ، فقد استعانت آن بواحد من إفراد هؤلاء ليسافر معهم.

وأدت سذاجة الإنجليزيين وعدم أخذ الحيطة إلى العدْوِ والابتعاد عن القافلة من الآكام ، فسمعا وطء الحوافر ، وتعرضا لهجوم من خيالة كانوا هناك ، فحاولا الفرار ، لكنّ سرعة الخيالة لم تترك لهما الفرصة ، فأسقطوا آن من الحصان برمح طويل ، وتعرّض ويلفريد للضرب المبرح ، ثم استجوبا ، وعرفا بأنهما في مرافقة دليل له معهما علاقة طيبة فأطلقوا سراحهما ، وردوا لهما الفرسين والبندقية وكلّ أغراضهما ، وقتئذ استوعبا مخاطر الابتعاد عن القافلة أو الركب[27].

المحت بربارة كورطي Barbara KORTI إلى أهمية الرحلة في اكتشاف الفضاءات ، واكتساب التجارب الإنسانية الجديدة ، فشبّهت مدونات الرحالة بالبيت الفسيح الذي تتراكم فيه جميع الأنواع السردية لتشكّل قالبا فنيا متميّزا بأبعاده وظلاله[28]. فهذا الرأي انطبق على آن التي تتبعت سلوك بدو الصحراء الذي تضمّن القيم الأخلاقية في المعايشة الإنسانية ، فلقد أشارت بدهشة إلى عادة ذبح الشاة حين دعاهم أحد البدو إلى خيمته ، فقام بعقر البهيمة على باب الخيمة .كما تقضي عادة الذبح .وتلطيخ الجمال بالدم الخاثر ليكون رشما لها[29].

كما أن أعراف الضيافة[30] تقضي النزول بداية عند شيخ القبيلة أو الحي ، وإذا ما خالف الزائر هذا الإجراء فإنّه يلقى الازدراء والاستهجان والمقاطعة ، وعدّ ذلك الفعل شنيعا واستصغارا ، وهذا ما أدركته آن من خلال ما روي لها عن قفل من الشرارات إلى حائل لشراء التمر ، فنزلوا عند محمد بن رشيد عوض بندر شيخ القبيلة ، فأثار ذلك حفيظته ونشب خلاف بينهما إلى حدّ المقاطعة

6- خاتمة:

نخلص مما سبق إلى أنّ سرديات الرحلة تحتل مكانة متميّزة، تأسر أحاسيس القراء، لكونها عالما متعدّد الجوانب ومتنوّع السياقات اللغوية الغنية بالمعارف الأبستمولوجيا، والصيغ الأدبية والأوصاف الجمالية. فصاحبها قد يكون عالما أو طبيبا أو عالم اجتماع أو جغرافيا أو باحثا أثريا، أو أنثروبولوجيا، أو غيرها من سائر الانتماءات المعرفية.

ولا شك أن الميزة المشرقة لهذا النص الرحلي الذي تناولناه هي أنّ صاحبته أنثى مغامرة تحدّت مصاعب البيداء، وحققت منتهى أهدافها، واستطاعت تصحيح بعض المعلومات الخاطئة

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

التي أوردها رحالون سابقون. كما أنّ أنوثتها مكّنتها من ولوج عوالم نسوية مخبوءة في دور موصدة في وجوه الرحالين من الرجال.

ولعلّ قوة ملاحظات الليدي آن بلنت والأوصاف التي ساقتها أثارت في أذهاننا استخلاص الإشارات الأنتروبولوجية ذات الأبعاد الاجتماعية والأثرية والتاريخية والأعراف والعادات الصحراوية والعلاقات القبلية دون إغفال وضعية المرأة الصحراوية في الهرم الاجتماعي العربي.

7- الهوامش والإحالات:

1. ابن منظور ، **لسان العرب** ، دار صادر ط:3، ب يروت1994-ص 274 مادة ر. ح. ل.
2. البستاني ، **محيط المحيط** ، دار الكتب العلمية د.ط ، بيروت ، 2009 ، ص 227
3. BRES&MENIOT , **Voyages et voyageurs** , Persée E.N.S France 2008 p3
4. HAMID Abd-el-Kader , **L'Egypte dans voyage en orient de Gérard denerval et la France dans l'or de paris de rifaa tahtawi** , , univ Québec Canada 2008, , p 2
5. ibid , p : 26
6. ضيف ، شوقي ، **الرحلات** ، دار المعارف مصر ، ط3، 1979 ، ص: 49
7. DALEX, F, **Bibliographie des premières voyageuse'jusqu'à la seconde guerre mondiale , recis de voyages,** D.P.C,PARIS France, 2007, , P : 8-9-13-23-24-41-42-46).
8. E.de Budé, **Les illustres voyageuses**, Persée E.N.S France 1866, ,p :148 .
9. بلنت ، آن ، **رحلة إلى نجد** ، تر: أحمد ايبش ، مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون سوريا ،2005 ، ص:49
10. المصدر نفسه ، ص: 71.
11. المصدر نفسه ، ص: 177.
12. المصدر نفسه ، ص: 183-184.
13. المصدر نفسه ، ص: 242.
14. المصدر نفسه ، ص: 196.
15. المصدر نفسه ، ص: 292.
16. المصدر نفسه ، ص: 293 وما بعدها.
17. المصدر نفسه ، ص: 316.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

18.المصدر نفسه ، ص: 226.

19.المصدر نفسه ، ص: 329.

20.المصدر نفسه ، ص: 362.

21. BOULAIN Valéri., **Femmes en Aventure**, Presses univesitaires de Rennes, France2012,,p : 15

22. HAMID Abdelkader , **L'Egypte dans voyage en orient de Gérard denerval et la France dans l'or de paris de rifaa tahtawi** , , univ Québec Canada 2008,, p :2

23.المصدر نفسه ، ص: 102).

24.المصدر نفسه ، ص: 234).

25.المصدر نفسه ، ص: 142 و184).

26.المصدر نفسه ، ص: 143).

27. Viviés jean, **Le récit de voyage dans la littérature anglaise** , Presses Universitaires Mirail France , 1999,, p : 31

28.المصدر نفسه ، ص: 238).

29.المصدر نفسه ، ص: 232).

8- مصادر البحث ومراجعه

1-8 المؤلفات العربية:

- البستاني بطرس ، **محيط المحيط** ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2009
- بلنت آن ، **رحلة إلى نجد** ، ترجمة أحمد ايبش ، مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون سوريا ، 2005
- دومون لويس ، **مقالات في الفردانية منظور أنثروبولوجي للإيديولوجية الحديثة** ، المنظمة العربية للترجمة لبنان ،. 2006
- سنيوبوس شارل ، **تاريخ حضارات العالم** ، الدار العالمية للكتب والنشر مصر ، 2012.
- ضيف شوقي ، ط:3، **الرحلات** ، دار المعارف مصر ، 1979.
- كونيهان كارول ، **أنتروبولوجية الطعام والجسد** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ، 2013.
- ابن منظورمحمد ، ، ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، ط:3، 1994

2.8 المؤلفات الأجنبية:

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

- BOULAIN Valérie, **Femmes en Aventure**, Presses univesitaires de rennes, France,. 2012
- BRESC Henri & MENJOT Denis, , **Voyages et voyageurs**, Persée E.N.S France,2008
- DALEX Francoise, **Bibliographie des premières voyageuses j'jusqu'à la seconde guerre mondiale , recis de voyages** , D.P.C,PARIS, 2007
- Eugène.de Budé Cortambert, , **Les illustres voyageuses** , Persée E.N.S France, 1866.
- HAMID Abdelkader,**L'Egypte dans voyage en orient de Gérard denerval et la France dans l'or de paris de rifaa tahtawi** , univ Québec .Canada. , 2008
- Viviés jean, **Le récit de voyage dans la littérature anglaise**, Presses Universitaires Mirail France , 1999.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583